المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية
ECSS
EGYPTIAN CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

ورقـــة بحثيـــة

صناعة العدو ...

الإرهاب وإعادة تأطيره في الخطاب الغربي المعاصر

28 فبراير 2026

إعداد

هاجر أيمن

وحدة الإرهاب والصراعات المسلحة بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

يُعد مفهوم الإرهاب من أكثر المفاهيم إشكالية في حقل العلوم السياسية والدراسات الأمنية، لا بسبب طبيعته العنيفة فحسب، بل أيضًا نتيجة غياب تعريف موحد يحظى بإجماع دولي. وقد أتاح هذا الغموض المفاهيمي مساحة واسعة لتوظيف المصطلح سياسيًا وإعلاميًا، بحيث أصبح يُستخدم كأداة خطابية لتجريم خصوم بعينهم، أو لتبرير التدخل وإضفاء الشرعية عليها في السياق الدولي.

وفي هذا السياق، شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 نقطة تحول مركزية في تناول مفهوم الإرهاب، إذ شهد الخطاب السياسي والإعلامي الغربي تصاعد متزايد في اختزال الظاهرة في إطار ثقافي وديني محدد، وربطها على نحو شبه حصري بالعالم العربي والإسلامي، متجاهلًا الامتداد التاريخي للإرهاب في سياقات سياسية متباينة، شملت حركات يسارية متطرفة، وتنظيمات قومية، وجماعات يمينية متشددة.

وعلى الرغم من شيوع هذا المنظور الاختزالي، تشير غالبية الدراسات والمراجع الأكاديمية إلى الإرهاب باعتباره نمطًا من أنماط العنف السياسي المنظم، يُستخدم فيه العنف أو التهديد به ضد المدنيين أو الأهداف غير العسكرية، بقصد إحداث أثر نفسي ورمزي يتجاوز الفعل المادي ذاته، بما يخدم أهدافًا سياسية أو أيديولوجية محددة. ووفقًا لهذا التصور، لا يُعد الدين أو العرق أو الانتماء الثقافي محددًا جوهريًا لظهور الإرهاب، بقدر ما يرتبط نشأته بالسياق السياسي، وبنية الصراع، وطبيعة الفاعلين، وشكل العلاقة بين السلطة والعنف.

وبالرغم من ذلك، برز ميل متزايد في الخطاب الغربي إلى ربط الإرهاب بهويات ثقافية ودينية محددة، وعلى رأسها العرب والمسلمون، بما أفضى إلى إنتاج صورة نمطية اختزالية تتجاوز الفاعلين الإرهابيين

أنفسهم لتشمل جماعات اجتماعية وثقافية بأكملها. ولم يقتصر هذا التحول على المجال الخطابي المجرد، بل انعكس في السياسات الأمنية، والتشريعات، والممارسات الإعلامية والثقافية، بما أسهم في إعادة تعريف العنف، والتهديد، والانتماء، ضمن أطر حضارية وأمنية أوسع.

وانطلاقًا من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى تفكيك الكيفية التي تم بها إنتاج هذا الارتباط، ودور أحداث 11 سبتمبر في إعادة تفعيل سرديات صدام الحضارات، إضافة إلى استكشاف إسهام الإعلام والسينما في ترسيخ صور ذهنية معينة عن العرب والمسلمين.

أولًا

الجذور التاريخية لظاهرة الإرهاب

يكشف تتبع الجذور التاريخية للظاهرة أن الإرهاب لم يكن يومًا حكرًا على جماعة عرقية أو دينية بعينها، بل جسّد عبر التاريخ أداة من أدوات العنف السياسي، تقوم على استخدام القوة أو التهديد بها لبثّ الرعب داخل المجتمع بغرض تحقيق أهداف سياسية أو أيديولوجية، وذلك في سياقات تاريخية متباينة سبقت بقرون طويلة تشكّل الخطاب المعاصر حول الإرهاب.

ورغم أن مصطلح الإرهاب لم يُستخدم بدلالته السياسية الواضحة إلا في أواخر القرن الثامن عشر مع ما عُرف بـ»عهد الرعب» خلال الثورة الفرنسية، فإن ممارسة العنف المنظم كأداة لإخضاع المجتمعات وتحقيق أهداف سلطوية أو ثورية كانت حاضرة في التاريخ الإنساني قبل نشوء الدولة الحديثة بوقت طويل. وبذلك، فإن الظاهرة تسبق المصطلح، كما تسبق الإطار الثقافي أو الديني الذي تم لاحقًا ربطها به، وهو ما يؤكد أن الإرهاب لا يمكن فهمه بوصفه نتاج هوية محددة، بل باعتباره نمطًا متكررًا من أنماط الصراع السياسي عبر التاريخ.

الإرهاب قبل الدولة الحديثة:

جماعة السيكاري: تمثل جماعة السيكاري اليهودية (عصبة الخناجر)، التي ظهرت في القرن الأول الميلادي في ظل السيطرة الرومانية، أحد أقدم النماذج التاريخية للعنف السياسي المنظم ذي الطبيعة الإرهابية. نشأت الجماعة كتيار راديكالي داخل حركة الغيورين، رافضة أي شكل من أشكال التعايش مع السلطة الرومانية أو النخب المحلية المتعاونة معها، ومعتبرة العنف واجبًا دينيًا وسياسيًا لاستعادة ما اعتبرته «السيادة الإلهية» لليهود.

اعتمدت الجماعة على الاغتيالات العلنية باستخدام خناجر قصيرة تُنفذ وسط الحشود في الأسواق والمناسبات الدينية، بهدف خلق حالة رعب جماعي وشلل اجتماعي. ولم يكن استهداف المدنيين عرضيًا، بل خيارًا استراتيجيًا يهدف إلى تفكيك البنية الاجتماعية ومنع أي تعاون مع السلطة القائمة.[1]

وفي السياق الإسلامي، تُعد جماعة الحشاشين أحد أبرز الأمثلة التاريخية على العنف السياسي المنظم قبل تشكل المفهوم الحديث للإرهاب، ظهرت الجماعة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في بلاد فارس والشام.

تميزت الحركة باستخدام الاغتيال السياسي كأداة مركزية لاستهداف قادة سياسيين وعسكريين ورموز

السلطة في هذا العصر، بهدف بث الرعب وإضعاف الخصوم السياسيين. واتسمت عملياتها بدرجة عالية من السرية والتنظيم، حيث استُخدم الاغتيال كوسيلة للتأثير في موازين القوى دون خوض مواجهات عسكرية مفتوحة، كما استُخدم أحيانًا كأداة للضغط السياسي وفرض شروط تفاوضية.

وتُظهر هذه الأمثلة أن العنف السياسي، تاريخيًا -وقبل ظهور مصطلح الإرهاب-، لم يكن مرتبطًا بدين محدد، بل استُخدم كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية وأيديولوجية في سياقات تاريخية متنوعة.[2]

تشكل المفهوم الحديث للإرهاب:

الثورة الفرنسية والاستخدام الأول لكلمة الإرهاب: يرتبط الاستخدام الأول لكلمة الإرهاب بالثورة الفرنسية، وتحديدًا بما عُرف بـ«عهد الرعب» (1793-1794)، حين استخدمت السلطات الفرنسية العنف المنهجي والإعدامات الجماعية كسياسة رسمية لحماية الثورة وإعادة تشكيل المجتمع.[3]

ومع مرور الوقت، بدأ المصطلح ينتقل تدريجيًا من سياق الدولة إلى سياق الجماعات غير الحكومية، حيث استُخدم لاحقًا لوصف الممارسات العنيفة التي تهدف إلى التأثير على الجمهور العام عبر نشر الخوف، سواء كانت هذه الممارسات من قِبل حركات قومية أو يسارية أو دينية أو جماعات مسلحة.

الإرهاب القومي: شهد القرن العشرون تصاعدًا ملحوظًا للإرهاب ذو الطابع القومي، خاصة في السياقات الأوروبية، حيث استُخدم العنف كأداة لتحقيق أهداف تقرير المصير أو الانفصال القومي. ويُعد الجيش الجمهوري الإيرلندي نموذج لهذا النمط، إذ اعتمد التفجيرات والاغتيالات ضمن صراع قومي-هوياتي ضد الوجود البريطاني، مستهدفًا في كثير من الأحيان مدنيين.

ومن الأمثلة الأخرى، منظمة «إيتا» في إسبانيا التي خاضت حملة عنف طويلة الأمد لتحقيق انفصال إقليم الباسك عن إسبانيا، بينما استهدف "الجيش الأرمني السري لتحرير أرمينيا» دبلوماسيين أجانب ضمن خطاب انتقامي تاريخي.

الإرهاب اليساري الغربي: برز نمط آخر من الإرهاب في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين في أوروبا الغربية، تمثل في الجماعات اليسارية الراديكالية التي ربطت العنف المسلح بمقاومة الرأسمالية والإمبريالية. ففي إيطاليا، نفذت جماعة «الألوية الحمراء» عمليات خطف واغتيال، أبرزها اغتيال رئيس الوزراء السابق «ألدو مورو»، بينما شنت جماعة «بادر-ماينهوف» في ألمانيا سلسلة تفجيرات واغتيالات استهدفت رموز الدولة والنظام الاقتصادي.[4]

الإرهاب اليميني المتطرف: في العقود الأخيرة، تصاعد خطر الإرهاب اليميني المتطرف، خاصة في أوروبا وأمريكا الشمالية، مستندًا إلى أيديولوجيات تفوق العرق الأبيض، ومعاداة المهاجرين، ورفض التعددية الثقافية. ورغم الطابع الأيديولوجي الواضح لهذا العنف، فإن بعض الخطابات الإعلامية الغربية تتجنب

توصيفه بالإرهاب، مفضلة استخدام مصطلحات مثل «الذئاب المنفردة»، وهو ما يعكس أحيانًا ازدواجية معيارية في توصيف العنف السياسي.

وخلال العقد الأخير، برزت ظاهرة «الذئاب المنفردة» في سياق الإرهاب اليميني، حيث ارتكب أفراد غير منتمين تنظيميًا هجمات مستلهمة من أفكار أيديولوجية مرجعية، كما في حالة أندرس بريفيك، والذي شارك في هجمات النرويج 2011.[5] كما لم يعد التطرف اليميني محصورًا في جماعات النازيين الجدد، بل تحول إلى شبكات عابرة للحدود عبر الإنترنت تضم أفرادًا متطرفين يتبنون نظريات تفوق العرق الأبيض ومعاداة الأجانب، ما يزيد من صعوبة اكتشافهم أمنيًا، ويؤكد أن مصطلح «الذئاب المنفردة» لا يعني عزلة كاملة، بل ارتباطًا أيديولوجيًا عبر الفضاء الرقمي مع اتخاذ قرار التنفيذ بشكل فردي.

الإرهاب الديني: لا يقتصر الإرهاب الديني على دين واحد بعينه، بل ظهر في سياقات دينية متعددة عبر التاريخ، ما يؤكد أن توظيف الدين في العنف ليس فعلًا مقتصرًا على الإسلام أو على ثقافة معينة، بل هو ظاهرة عابرة للأديان والثقافات. وفي هذا الإطار، يمكن ملاحظة عدة نماذج بارزة تُظهر كيف يمكن أن يتحول الدين إلى مبرر أو أيديولوجيا للعنف السياسي:

تمثل حركة «كاخ»، التي أسسها الحاخام الإسرائيلي المتطرف «مائير كاهانا»، أحد أكثر نماذج التطرف الديني اليهودي عنصريةً وعنفًا في العصر الحديث. قامت هذه الحركة على أيديولوجيا التفوق اليهودي والدعوة إلى إقامة دولة يهودية ثيوقراطية تقوم على الفصل العرقي، وطرد الفلسطينيين وغير اليهود من فلسطين، وتبرير استخدام العنف لتحقيق هذه الغايات. وتورط أتباع هذه الحركة في هجمات دموية، أبرزها مذبحة الحرم الإبراهيمي عام 1994. ورغم اغتيال كاهانا عام 1990، فإن إرثه الأيديولوجي لم يختفِ، بل أعيد إنتاجه بصيغ سياسية معاصرة عبر تنظيمات وأحزاب مثل القوة اليهودية وغيرها، والتي تبنّت خطابه الإقصائي، ونجح بعضها في الانتقال من هامش التطرف إلى قلب المشهد السياسي الإسرائيلي في الوقت الحالي.[6]

وفي سياق الدين المسيحي، يُعد جيش الرب الأوغندي بقيادة جوزيف كوني مثالًا بارزًا على توظيف الدين المسيحي في تبرير العنف السياسي المنظم. فقد ادعى كوني تلقيه وحيًا إلهيًا، وسعى إلى إقامة نظام حكم يستند إلى الوصايا العشر من الإنجيل في تفسير متطرف وانتقائي للدين المسيحي. وقد استخدم التنظيم هذا الخطاب الديني لإضفاء شرعية رمزية على ممارساته العنيفة، التي شملت القتل الجماعي، وخطف الأطفال وتجنيدهم قسرًا، واستعباد النساء.[7]

إلى جانب ذلك، يبرز في بعض مناطق آسيا، نمط من التطرف البوذي العنيف، حيث لجأت جماعات بوذية قومية وعنصرية إلى استخدام العنف ضد الأقليات دينية، وفي مقدمتها المسلمين، استنادًا إلى تصورات إقصائية مناهضة للتعددية الدينية وحقوق الأقليات.

وتُعد حالة ميانمار مثالًا بارزًا على هذا النمط، إذ برز ما يمكن توصيفه بـ»الإرهاب البوذي» ضد

المسلمين، وبشكل خاص أقلية الروهينجا. فقد تشكّل تحالف وثيق بين المجلس العسكري الحاكم وعدد من الرهبان البوذيين القوميين المتطرفين، الذين ارتبطوا سابقًا بحركة «969» بقيادة الراهب «آشين ويراتو»، ثم أعادوا تنظيم أنفسهم لاحقًا ضمن منظمة «ماباثا» (لجنة حماية القومية والدين). وأسهم هذا التحالف في إضفاء شرعية دينية على سياسات القمع والتطهير العرقي، عبر خطاب ديني قومي يصوّر المسلمين بوصفهم تهديدًا لهوية الأمة البوذية. ولم يقتصر دور هذه الجماعات على التحريض الخطابي، بل امتد في بعض الحالات إلى المشاركة المباشرة في العنف المسلح وقيادة ميليشيات موالية للنظام، ما حول العنف ضد المسلمين إلى جزء من استراتيجية سياسية-دينية منظمة، ويُبرز أن الإرهاب هو نتاج تسييس الهوية الدينية داخل صراعات السلطة، لا تعبيرًا عن جوهر الدين ذاته.[8]

يمثل التطرف الهندوسي مثالًا آخر على توظيف الدين في العنف السياسي المنظم، حيث تقوم أيديولوجيا الهندوتفا على دمج الهوية الدينية بالهوية القومية، وتقديم الهندوسية بوصفها الأساس الحصري للأمة الهندية. وقد ارتبط هذا التيار بشبكة من التنظيمات القومية المتطرفة، وفي مقدمتها منظمة راشتريا سوايامسيفاك سانغ (RSS) شبه العسكرية، ومنظمتي فيشوا هندو باريشاد (VHP) وبجرانج دال Bajrang Dal، إضافة إلى الجناح السياسي المتمثل في حزب بهاراتيا جاناتا. وأسهم هذا الإطار الأيديولوجي في تبرير أعمال عنف ممنهجة ضد الأقليات الدينية، من المسلمين والمسيحيين، شملت الاعتداءات الجماعية، وتدمير دور العبادة، وفرض قيود على التحول الديني، كما تجلى في أحداث مفصلية مثل تدمير مسجد بابري عام 1992، وأعمال العنف واسعة النطاق ضد المسلمين في جوجارات عام 2002.[9]

وإلى جانب ذلك، تواصل التنظيمات الجهادية الإسلامية كالقاعدة وداعش وغيرها في توظيف تأويلات جهادية متشددة وانتقائية للنصوص الدينية من أجل إضفاء شرعية أيديولوجية على العنف السياسي، حيث تُفصل هذه النصوص عن سياقاتها التاريخية والفقهية، ويُعاد توظيفها لخدمة أهداف هذه التنظيمات.

وتكشف القراءة التاريخية السابقة أن الإرهاب ظاهرة عالمية متعددة الجذور والأبعاد، سبقت الإسلام والدولة الحديثة، واتخذت أشكالًا قومية، ويسارية، ويمينية، ودينية عبر التاريخ. وعليه، فإن اختزال الإرهاب في سياق عربي-إسلامي لا يعكس حقيقة الظاهرة، بل يمثل انحيازًا سياسيًا وخطابيًا.

ثانياً

أحداث 11 سبتمبر 2001 وإعادة إنتاج خطاب صدام الحضارات

منذ نهاية الحرب الباردة، طُرحت عدة مقاربات لفهم طبيعة الصراعات في النظام الدولي، كان من أبرزها أطروحة صدام الحضارات، التي قدمها «صامويل هنتنجتون» في كتابه (صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي). وانطلقت هذه الأطروحة من فرضية مفادها أن الصراعات في مرحلة ما بعد الحرب الباردة لن تكون أيديولوجية أو اقتصادية بالأساس، بل ستتخذ طابعًا حضاريًا وثقافيًا، مع تركيز خاص على العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي.[10]

ورغم ما واجهته هذه المقاربة من انتقادات واسعة في الأدبيات الأكاديمية بسبب نزعتها التعميمية والاختزالية، فإن هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 أسهمت في إعادة إحيائها ومنحتها زخمًا سياسيًا وإعلاميًا غير مسبوق.11 ولم تنبع أهمية الحدث من مستوى العنف أو رمزيته فقط، بل من قابليته للتوظيف داخل تصور يقدم العنف بوصفه نتاجًا لصراع حضاري شامل. وبذلك، لم يتم التعامل مع الهجمات كعملية إرهابية نفذها تنظيم محدد فقط، بل تم توظيفها كأداة لإعادة إنتاج سردية أوسع، تُحمل الحضارة الإسلامية دلالات أمنية وثقافية تتجاوز طبيعة الحدث.[12]

قبل أحداث 11 سبتمبر، لم يكن الإسلام يُقدم في الخطاب السياسي والإعلامي الغربي بوصفه تهديدًا أمنيًا شاملًا. فعلى الرغم من وقوع أعمال عنف ذات خلفيات دينية أو أيديولوجية، كان العنف يُفسَّر غالبًا ضمن سياقات سياسية وتنظيمية محددة، وتُنسب المسؤولية إلى جماعات بعينها، دون تعميم الاتهام على الإسلام كدين أو على المسلمين كجماعة اجتماعية. غير أن تثبيت هجمات 11 سبتمبر كنقطة مرجعية تفسيرية أدى إلى إعادة قراءة العنف اللاحق المرتبط بفاعلين مسلمين ضمن سردية كلية تتجاوز السياقات الخاصة بكل حالة.[13]

وقد أسهم هذا التحول في إعادة تأطير العنف المرتبط بالجماعات الجهادية ضمن منظور حضاري أشمل، بحيث لم يعد يُنظر إليه حصريًا باعتباره نتاجًا لظروف سياسية أو تنظيمية محددة، بل بوصفه تعبيرًا عن توتر ثقافي أو حضاري مفترض. ونتيجة لذلك، انتقل الخطاب من مستوى تنظيم إرهابي محدد إلى مستوى حضارة أو منظومة قيم، بما أدى إلى تآكل الحدود الفاصلة بين الفاعل العنيف والهوية الدينية الأوسع، وإلى اختزال سياسي للصراع في قالب حضاري يفتقر إلى تفسيره البنيوي المعقد.

ويمثل هذا السياق مدخلًا لفهم الكيفية التي تم من خلالها تحويل قضايا مرتبطة بالعنف السياسي إلى تهديدات ذات طابع أمني شامل، بما أتاح تبرير إجراءات استثنائية تجاوزت القواعد السياسية والقانونية المعتادة. وفي حالة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، لم يقتصر هذا التحول على التنظيمات الجهادية العنيفة، بل امتد ليشمل المسلمين بوصفهم جماعة اجتماعية، ثم الإسلام ذاته باعتباره هوية ثقافية وحضارية.

وقد تجلى هذا التحول في اتساع دائرة الاشتباه، حيث انتقل التركيز من شبكات العنف العابرة للحدود إلى المجتمعات المسلمة في الغرب بوصفها حاضنة محتملة للتطرف. وفي هذا السياق، تداخل منطق التهديد مع منطق الثنائية الحضارية (نحن/هم)، بحيث لم يعد التهديد مُعرفًا باعتباره سلوكًا عنيفًا محددًا، بل بوصفه هوية قائمة في ذاتها. ولم يبقى هذا التحول مقتصرًا على المجال الخطابي، بل تُرجم إلى سياسات أمنية وتشريعية، تمثلت في توسيع صلاحيات الرقابة، وتشديد إجراءات الهجرة، وإخضاع قضايا الاندماج الاجتماعي لمعايير أمنية متزايدة. وقد أسهم ذلك في إعادة إنتاج صور نمطية سلبية عن المسلمين، وتعميق الربط بين الإسلام والإرهاب داخل بعض الخطابات والسياسات العامة.[14]

ثالثًا

إعادة تأطير الصراعات في الخطاب الدولي:

في أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، شهد الخطاب السياسي والأمني الدولي تحولًا ملحوظًا في الأطر التفسيرية المستخدمة لفهم الصراعات في منطقة الشرق الأوسط، حيث تم إدماج العديد من هذه الصراعات ضمن إطار أمني عالمي أوسع يتمحور حول مفهوم «الحرب على الإرهاب». وقد أدى هذا التحول إلى توسيع نطاق تفسير النزاعات، بحيث لم تعد تُفهم فقط من خلال محدداتها السياسية أو التاريخية أو الاجتماعية المحلية، بل أصبحت تُفسر أيضًا في ضوء ارتباطها المحتمل بالتهديدات الأمنية العابرة للحدود.[15]

وفي هذا السياق، أسهم هذا التحول الخطابي في إعادة تعريف طبيعة الفاعلين في المنطقة، حيث أصبح يُنظر إلى بعض الجماعات، وفي بعض الحالات الدول، ليس فقط باعتبارها أطرافًا في نزاعات إقليمية محددة، بل كعناصر محتملة ضمن منظومة تهديد أمني أوسع. وقد انعكس ذلك في تعزيز دور الاعتبارات الأمنية الدولية في تفسير هذه الصراعات، الأمر الذي أتاح للقوى الدولية، توسيع نطاق تدخلها العسكري والأمني خارج حدودها الجغرافية، ضمن إطار يرتبط بالحفاظ على الأمن الدولي ومواجهة التهديدات المحتملة.[16]

ويُعد التدخل العسكري في العراق عام 2003 أحد أبرز الأمثلة على هذا التحول، حيث ارتبط الخطاب السياسي المصاحب للتدخل بجملة من الاعتبارات الأمنية، من بينها المخاوف المتعلقة بامتلاك أسلحة الدمار الشامل، إضافة إلى الإشارة إلى علاقات محتملة مع تنظيم القاعدة. وقد أسهم هذا التأطير في إدراج التدخل ضمن سياق أمني دولي أوسع، مما ساعد في تقديمه بوصفه جزءًا من جهود مواجهة التهديدات الأمنية العالمية، وليس فقط كحالة مرتبطة بالتوازنات الإقليمية.

كما يعكس هذا النمط الخطابي تحولًا أوسع في بنية النظام الدولي، حيث برز مفهوم الإرهاب كإطار تفسيري رئيسي يُستخدم في تحليل بعض الصراعات وإعادة تعريف مصادر التهديد. وقد أسهم ذلك في تعزيز حضور

الاعتبارات الأمنية في تفسير النزاعات، وفي إعادة صياغة العلاقة بين الأمن الدولي والصراعات الإقليمية، بما يتجاوز الأطر التقليدية المرتبطة بالمصالح القومية أو التوازنات الجيوسياسية.

ولا يقتصر هذا الإطار على البعد الأمني، بل يمتد أيضًا إلى إضفاء الشرعية على التدخلات العسكرية، ففي بعض السياقات الخطابية، يتم ربطها بحماية المدنيين أو حفظ الأمن الدولي بما يسهم في شرعنة هذه التدخلات وإضفاء الطابع الأخلاقي أو الإنساني عليها.

وفي هذا السياق، يمكن ملاحظة تمايز خطابي في توصيف أنماط العنف، حيث يُدرج بعض أشكال العنف ضمن إطار الإرهاب عندما يُنظر إليها باعتبارها تهديدًا للأمن الدولي، في حين يُقدم استخدام القوة في سياق تدخلات دولية، ضمن أطر مفاهيمية ترتبط بالحفاظ على الأمن أو إعادة الاستقرار. ويعكس هذا التمايز الدور الذي يلعبه الخطاب في تشكيل أنماط تفسير العنف وتحديد دلالاته ضمن السياق السياسي والأمني الدولي.[17]

رابعًا

دور الإعلام والسينما في صناعة الصورة الذهنية عن العرب والمسلمين

يُعد الإعلام والسينما من أكثر الأدوات تأثيرًا في تشكيل الصور الذهنية داخل المجتمعات الغربية، نظرًا لما يمتلكانه من قدرة على التأثير في الرأي العام وإعادة إنتاج الإدراك الجمعي للأحداث والهويات. وفي هذا السياق، أسهمت التغطيات الإعلامية والمنتجات السينمائية، عبر أنماط متكررة من السرد والتمثيل، في ترسيخ تصورات معينة عن العرب والمسلمين، ارتبطت في كثير من الأحيان بقضايا التطرف والعنف السياسي.[18]

يعتمد هذا التأثير على آليات متعددة، من أبرزها التكرار والانتقاء وإبراز حالات محددة بوصفها ممثلة للكل. فعلى مستوى الخطاب، يُلاحظ الاستخدام المتكرر لمصطلحات مثل «الجهادي» أو «التطرف الإسلامي» في سياقات عنيفة، دون إيضاح الفروق المفاهيمية أو السياقات التاريخية والسياسية الأوسع. ويؤدي هذا النمط من التناول إلى تضييق إطار الفهم، بحيث تُقرأ الظواهر العنيفة من منظور ديني بالدرجة الأولى، مع تراجع العوامل الاجتماعية والسياسية التي تسهم في تفسيرها.

وتكتسب الصورة الذهنية أهميتها من كونها لا تقتصر على توصيف الواقع، بل تعمل بوصفها إطارًا تفسيريًا يوجه كيفية فهم الأحداث وتقييمها، وينعكس ذلك على السياسات العامة، مثل سياسات الهجرة، ومقاربات الأمن، والعلاقات بين المجموعات الثقافية المختلفة. وفي سياق العنف السياسي، يمكن أن تُستخدم هذه الصور لتحديد التهديد، بما يرسّخ ربط الظاهرة بهويات بعينها ويؤثر في النقاشات العامة المرتبطة بالاندماج والتعددية.

كما تلعب الذاكرة الجماعية دورًا أساسيًا في تثبيت هذه الصور، من خلال الاستدعاء المتكرر لأحداث بعينها -كأحداث 11 سبتمبر- 2001 بوصفها نقاطًا مرجعية دائمة في تفسير العنف المرتبط بالمسلمين، في حين تحظى أحداث أخرى بتغطية أقل حضورًا في السردية العامة. ويسهم هذا الانتقاء في تعزيز استمرارية إطار تفسيري واحد، يُعاد إنتاجه عبر الزمن.

وبناءً على ذلك، يمكن ملاحظة أن بعض اتجاهات التناول الإعلامي الغربي لقضايا الإرهاب قد أسهمت في تعزيز ارتباطٍ ذهني بين الإسلام والعنف، من خلال أطر تفسيرية تكرست بمرور الوقت داخل الخطاب العام. وتُظهر دراسات تحليل الخطاب أن هذا الارتباط لم يكن بالضرورة ناتجًا عن أحداث معزولة بقدر ما كان حصيلة تراكم أنماط تغطية انتقائية، أدت إلى إبراز البعد الأمني في تمثيل المسلم، مع تراجع حضوره بوصفه فاعلًا اجتماعيًا طبيعيًا. وفيما يلي أهم الآليات الإعلامية المرتبطة بهذا المسار:

1. الإعلام الإخباري:

يُعتبر الإعلام الإخباري فاعلاً أساسياً في تشكيل التصورات العامة، وذلك من خلال أنماط التغطية والانتقاء التي يتبعها. تشير دراسات متعددة إلى وجود تباين في كثافة التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية بناءً على هوية مرتكبيها؛ إذ تحظى العمليات التي ينفذها أشخاص من خلفية إسلامية بتغطية أوسع وأكثر استمرارية، مع تركيز ملحوظ على الخلفية الدينية للفاعل باعتبارها عاملاً تفسيرياً رئيسياً للحدث.[19]

في المقابل، يظهر نمط مغاير في تغطية أعمال العنف التي يرتكبها أفراد من خلفيات غير مسلمة، حيث يتم تناولها غالبًا في إطار فردي أو نفسي أو اجتماعي، مع إرجاعها إلى عوامل شخصية كالاضطرابات النفسية أو الظروف الفردية، دون ربطها بهوية ثقافية أو دينية جماعية. ويُلاحظ في هذا السياق نزوع التغطية إلى فصل الفعل عن الخلفية الأيديولوجية للفاعل.[20]

كذلك، تميل التغطية الإعلامية أحيانًا إلى تقديم صورة متجانسة للمجتمعات المسلمة، يتم فيها اختزال التنوع الثقافي والمذهبي والاجتماعي في قوالب محدودة. ويُلاحظ أن هذه المجتمعات تُصور غالبًا في سياق علاقتها بالغرب أو في إطار التهديدات الأمنية، مما يسهم في تقديم المسلمين كمجموعة ذات خصائص موحدة بدلًا من أفراد متنوعين.[21]

ولا يقتصر دور الإعلام على اختيار الأخبار، بل يمتد إلى اللغة والصورة بوصفهما أدوات مركزية لإنتاج المعنى؛ فعلى المستوى اللغوي، يلاحظ استخدام متكرر لمصطلحات معينة مثل «التطرف الإسلامي» و«الجهاد» في سياقات العنف، مما قد يؤدي إلى خلق روابط لغوية بين الدين والفعل العنيف، خاصة عندما لا تُقدم هذه المصطلحات في سياقاتها التاريخية والدينية الشاملة.[22]

وعلى المستوى البصري، يُلاحظ أن التكرار الإعلامي لاستخدام صور مرتبطة برموز إسلامية -مثل المساجد أو أنماط اللباس التقليدي أو اللحى- في سياق تغطية أحداث عنف، قد يسهم بمرور الوقت في تكوين روابط بصرية شبه مستقرة داخل الذاكرة الجمعية. وتؤدي هذه الروابط إلى اقتران ذهني بين تلك الرموز والعنف أو الإرهاب، حتى في الحالات التي لا تقوم فيها علاقة مباشرة أو سببية بينهما.

2. السينما والدراما:

تُعد الدراما والسينما الغربية، من الأدوات شديدة التأثير في تشكيل التصورات الثقافية عن العرب والمسلمين، نظرًا لقدرتها على التأثير في الإدراك واللاوعي الجمعي عبر سرديات ترفيهية تبدو محايدة. وقد شهدت السرديات السينمائية تحولًا تدريجيًا من الاستشراق الكلاسيكي إلى ما يمكن تسميته بـ «الإسلاموفوبيا الجديدة»، حيث تقدم المسلم غالبًا في أحد ثلاثة أدوار؛ إرهابي، متعصب، أو ضحية تحتاج إلى إنقاذ غربي،[23] ومن أبرز الأمثلة على ذلك مسلسل Homeland، الذي تضمن تجسيد لبعض الشخصيات المسلمة في سياقات أمنية أو أدوار تتصل بالتهديد أو الازدواجية، وهو ما قد يسهم في تعزيز تصورات قائمة على الريبة والشك في المسلمين.[24]

وتكتسب هذه التمثيلات أهميتها من كونها تعمل ضمن منطق التراكم الرمزي، حيث لا يُقاس تأثيرها بعمل واحد بعينه، بل بتكرار أنماط سردية متشابهة عبر الزمن، بما يؤثر في تشكيل الإطار العام الذي تُفهم من خلاله قضايا الهوية والعنف داخل الثقافة الشعبية.

خامسًا

النتائج الاجتماعية والسياسية لإنتاج خطاب التهديد

تنتج هذه السرديات الإعلامية والسينمائية عن العرب والمسلمين تأثيرات عميقة في المجتمع الغربي، تشمل دعم سياسات تمييزية، وتعزيز خطاب اليمين المتطرف، بالإضافة إلى تآكل الثقة بين مكونات المجتمع، وإضعاف إمكانية الاندماج والتفاهم المتبادل، بحيث تتحول الإسلاموفوبيا من مجرد خطاب كراهية إلى بنية اجتماعية وسياسية قائمة على إنتاج علاقات قوة غير متكافئة.[25]

الإسلاموفوبيا المؤسسية: لم تعد الإسلاموفوبيا في السياق الغربي المعاصر تقتصر على مشاعر عداء فردية أو مواقف ثقافية هامشية، بل تحولت تدريجيًا إلى ظاهرة مؤسسية متجذرة داخل بنية الدولة ذاتها. ويتجلى هذا التحول في إدماج التصورات السلبية عن الإسلام والمسلمين في السياسات العامة، من خلال قوانين وتشريعات وممارسات أمنية تُنتج التمييز بصورة ممنهجة ومشروعة قانونيًا.[26]

وتظهر الإسلاموفوبيا المؤسسية بوضوح في سياسات الهجرة واللجوء، بالإضافة إلى برامج المراقبة الأمنية الواسعة التي استهدفت المجتمعات المسلمة، وربطها جماعياً بالإرهاب، وتشديد الرقابة على المساجد، وتقييد الرموز الدينية، ومنع الحجاب والنقاب تحت ذريعة الأمن أو الاندماج. وبهذا، ينتقل التمييز من مستوى الخطاب إلى مستوى الممارسة الرسمية، ليصبح جزءًا من منطق الحكم والإدارة.[27]

إعادة إنتاج التطرف والعنف: تُفضي هذه السياسات، على العكس من أهدافها المعلنة، إلى نتائج عكسية؛

فبدلًا من احتواء الإرهاب والتطرف، تُسهم في إعادة إنتاجه عبر تعزيز مشاعر الإقصاء والاغتراب داخل بعض قطاعات الجاليات المسلمة، خاصة بين الشباب. وهي المشاعر التي تستغلها التنظيمات الإرهابية والمتطرفة في تعزيز سردياتها عن «المظلومية الإسلامية» أو «الحرب الوجودية ضد الإسلام».

كما تُستغل الصورة النمطية عن العرب والمسلمين في الخطاب الغربي كأداة رمزية للتعبئة، إذ تسهل عمليات التجنيد عبر تقديم التنظيمات الجهادية كخيار وحيد لمواجهة الظلم والإقصاء والاستبداد الغربي. وينتج عن ذلك ما يمكن وصفه بحلقة مفرغة من العنف الرمزي والمادي؛ فالربط بين هوية دينية أو قومية أو إثنية معينة يولد تهميشًا وإقصاءً مؤسسيًا متعمدًا، وهذا بدوره يعزز قابلية التحول نحو التطرف والراديكالية، والتي تُستخدم لاحقًا لتبرير المزيد من السياسات القمعية والإقصائية. وبالتالي، يتحول العنف من فعل استثنائي إلى بنية مستدامة تُعاد إنتاجها عبر التفاعل المستمر بين الأمننة والتطرف.

الخاتمة والاستنتاجات النهائية:

تكشف القراءة التحليلية لتطور مفهوم الإرهاب في الخطاب الغربي عن تحولات جوهرية في طريقة بناء الظاهرة وتأطيرها، تجاوزت المستوى الأكاديمي إلى صميم الممارسة السياسية والإعلامية. فقد انتقل المفهوم من كونه نمطًا من أنماط العنف السياسي المنظم، قابلًا للتحليل في سياقاته التاريخية والاجتماعية المتنوعة، إلى أداة خطابية تتحدد دلالاتها وفقًا لعلاقات القوة والمصالح الجيوسياسية، وهو ما تجلى في قابلية المصطلح للتوظيف الانتقائي في توصيف العنف وفقًا لهوية الفاعل.

ويُظهر الاستعراض التاريخي للظاهرة أن ليس مرتبطًا بثقافة أو دين بعينه، بل هو نمط متكرر من أنماط الصراع السياسي عرفته حضارات ومجتمعات متنوعة، بدءًا من جماعة السيكاري في القرن الأول الميلادي، مرورًا بالحشاشين في العصور الوسطى، وصولًا إلى تنظيمات يسارية وقومية ودينية في العصر الحديث.

شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 نقطة تحول مفصلية في مسار الخطاب الغربي حول الإرهاب، حيث أعيد إنتاج أطروحة «صدام الحضارات» ضمن سياق جديد، وتم تحويل الهجمات من كونها عملية إرهابية محدودة إلى نقطة مرجعية دائمة في تفسير العلاقة مع الإسلام والمسلمين. وقد ترتب على هذا التحول إعادة تأطير العديد من الصراعات في منطقة الشرق الأوسط ضمن منظور أمني عالمي، بما أتاح للقوى الدولية توسيع نطاق تدخلاتها العسكرية تحت مظلة «الحرب على الإرهاب»، كما في حالة العراق وأفغانستان، مع إضفاء شرعية أخلاقية على هذه التدخلات.

ولعب الإعلام والسينما الغربية دورًا محوريًا في ترسيخ هذا المنظور، عبر آليات التكرار والانتقاء والتمثيل النمطي، حيث تحولت صورة المسلم في الخطاب الإعلامي والسينمائي من مواطن عادي إلى موضوع أمني، يُنظر إليه دائمًا في سياق الاشتباه والتهديد المحتمل. وقد أسهمت الازدواجية في توصيف العنف، والتركيز المفرط على الخلفية الدينية للفاعلين المسلمين مقابل تغييبها في حالات أخرى، في ترسيخ روابط ذهنية

بين الإسلام والإرهاب داخل الوعي الجمعي الغربي.

امتدت آثار هذه الخطابات إلى المستوى المؤسسي، حيث تجلت في بروز أشكال من الإسلاموفوبيا المؤسسية، عبر سياسات تمييزية في مجالات الهجرة واللجوء والأمن، وقوانين تستهدف الرموز الدينية الإسلامية. وهذه السياسات، بدلًا من تحقيق أهدافها المعلنة في مكافحة الإرهاب وتعزيز الأمن، قد تسهم في إعادة إنتاج التطرف عبر تعزيز مشاعر الإقصاء والاغتراب لدى بعض أفراد الجاليات المسلمة، مما يخلق حلقة مفرغة من العنف الرمزي والمادي يصعب كسرها.

ومما سبق، تبرز ضرورة مقاربة ظاهرة الإرهاب من منظور متعدد الأبعاد، يتجاوز المقاربات الاختزالية التي تختزل الظاهرة في هوية ثقافية أو دينية. فالإرهاب، كما يكشف التاريخ، ليس مرتبطًا بحضارة بعينها، بل هو نمط عنف سياسي يتشكل في سياقات محددة، ويُنتج عبر تفاعلات معقدة بين عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية.

ومن هذا، تبرز أهمية تطوير خطاب وسياسات تتجنب الخلط بين الهوية الدينية والتهديد الأمني، والانتقال من مقاربات أمنية قد تكون لها آثار عكسية إلى استراتيجيات شاملة تعالج الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية الكامنة وراء التطرف.

الهوامش والمراجع:

1. Stewart J. D›Alessio and Lisa Stolzenberg, "Sicarii and the Rise of Terrorism." Terrorism, vol. 13 (4–5), 1990, https://doi.org/10.1080/10576109008435840
2. Jefferson M. Gray, Holy Terror: The Rise of the Order of Assassins, History Net, 2010, https://www.historynet.com/holy-terror-the-rise-of-the-order-of-assassins/
3. Jonathan Matusitz, What Is Terrorism?, TERRORISM AND COMMUNICATION, 2013, https://us.sagepub.com/sites/default/files/upm-binaries/51172_ch_1.pdf
4. David Rapoport, The Four Waves of Modern Terrorism. In Attacking Terrorism: Elements of a Grand Strategy(2004), edited by Audrey Kurth Cronin and James M. Ludes, pp. 46-73. Washington, DC: Georgetown University Press. https://icct.nl/sites/default/files/import/publication/Rapoport-Four-Waves-of-Modern-Terrorism.pdf
5. https://www.imctc.org/ar/eLibrary/Magazine/Topics/Pages/Topic25042024.aspx
6. The Institute for Middle East Understanding, Meir Kahane & The Extremist Kahanist Movement, 2024, https://imeu.org/resources/resources/fact-sheet-meir-kahane-the-extremist-kahanist-movement/164
7. https://journals.ku.edu.kw/ajh/index.php/ajh/article/view/3029/2463 ،2023 ،المجلة العربية للعلوم الإنسانية ،دراسة تاريخية :2012 1987–
8. Khandakar Tahmid Rejwan, Militant Monks Fuel Government Terror in Myanmar, Terrorism Monitor, Volume 23 Issue 2, 2025, https://jamestown.org/militant-monks-fuel-government-terror-in-myanmar/
9. Paul Marshall, Hinduism and Terror, Hudson Institute, Jun 1, 2004, https://www.hudson.org/national-security-defense/hinduism-and-terror
10. https://ghirascenter.org/2025/12/%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D9%85-2025 ،%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%AA%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A/
11. ERVAND ABRAHAMIAN, The US media, Huntington and September 11, Third World Quarterly, Vol 24, No 3, pp 529–544, 2003, https://library.fes.de/libalt/journals/swetsfulltext/16987772.pdf
12. JOCELYNE CESARI, Muslims in the West after 9/11, Routledge, 2010, http://ndl.ethernet.edu.et/bitstream/123456789/16483/1/227.pdf
13. Mustafa BÜYÜKGEBIZ, HOW THE ENEMY HAS CHANGED: ISLAMOPHOBIA AND POST 9/11 SYNDROME IN JOHN LE CARRE'S NOVEL; A MOST WANTED MAN, ,2016, https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/411829
14. Uzzi Ohana, THE SECURITISATION OF OTHERS: FEAR, TERROR, IDENTITY, PAPER PREPARED FOR THE 6TH PAN-EUROPEAN CONFERENCE ON INTERNATIONAL RELATIONS: MAKING SENSE OF A PLURALIST WORLD 12-15 SEPTEMBER, UNIVERSITY OF TURIN, ITALY, 2007, https://www.researchgate.net/publication/237211759_THE_SECURITISATION_OF_OTHERS_FEAR_TERROR_IDENTITY
15. Dina Mansour, Counterterrorism policies in the Middle East and North Africa: A regional perspective, International Review of the Red Cross, 2021, https://international-review.icrc.org/sites/default/files/reviews-pdf/2022-02/counterterrorism-policies-in-the-middle-east-and-north-africa-916.pdf
16. https://dspace.univ-alger3.dz/jspui/bitstream/123456789/3893/1/%d8%af.1409.320.pdf ،2020 ،جامعة الجزائر ،أطروحة دكتوراة 11 سبتمبر 2001
17. Joe Murphy, Coloniality, neo-orientalism, culture, and death Why it is time to move away from the 'war on terror' narrative, British Council, https://www.britishcouncil.org/sites/default/files/new-voices-in-cultural-relations_1.-joe-murphy.pdf
18. Azeezah Kanji, Framing Muslims in the "War on Terror": Representations of Ideological Violence by Muslim versus Non-Muslim Perpetrators in Canadian National News Media, Religions, vol.9, 2018, https://www.mdpi.com/2077-1444/9/9/274#Funding
19. =Taryn Butler, The Media Construction of Terrorism Pre and Post-9/11, McKendree University, https://www.mckendree.edu/academics/scholars/butler-issue-24.pdf
20. =Kimberly A. Powell, Framing Islam/Creating Fear: An Analysis of U.S. Media Coverage of Terrorism from 2011–2016, Religions 2018, 9(9), 257; https://doi.org/10.3390/rel9090257
21. =FATIMA ABDUL RAHMAN, RUBA SALMA, Analyzing Media Representations of Terrorist Attacks Against Muslims: A Comparative Content Analysis of the Christchurch Mosque Attacks on BBC, Al Jazeera, and Al Arabiya Websites, International Journal of Communication, vol.18, 2024, https://ijoc.org/index.php/ijoc/article/view/20245/4541
22. =Syamsul Arifin, Nikmah Suryandari, Islamophobia and Media Framing in West Media, KARSA Journal of Social and Islamic Culture, vol. 29, pp.27-45, https://www.researchgate.net/publication/353940352_Islamophobia_and_Media_Framing_in_West_Media
23. https://www.scribd.com/document/720743193/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A ،2024
24. Media Portrayals of Religion: Islam, https://mediasmarts.ca/diversity-media/religion/media-portrayals-religion-islam
25. Navid Ghani, THE ROLE OF MEDIA AND ISLAMOPHOBIA IN THE UNITED STATES, Journal of Business and Social Science Review, Vol. 2; No.1; January 2021 pp.126-137, https://jbssrnet.com/wp-content/uploads/2021/02/10.pdf

26. KHALED A. BEYDOUN, EXPORTING ISLAMOPHOBIA IN THE GLOBAL"WAR ON TERROR", NYU Law Review, 2020, https://www.nyulawreview.org/wp-content/uploads/2020/04/NYULawReviewOnline-95-Beydoun.pdf

27. ELEVENTH OIC OBSERVATORY REPORT ON ISLAMOPHOBIA, July 2017 – April 2018, PRESENTED TO THE 45th Council of Foreign Ministers, PREFACE BY THE OIC SECRETARY GENERAL, https://www.oic-oci.org/upload/islamophobia/2018/11th_Annual_Report_on_Islamophobia_English.pdf

لمزيد من القراءة
يمكنكم زيارة مكتبة المركز

مكتبة
المركز المصري
للفكر والدراسات الاستراتيجية